

فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن

-دراسة تطبيقية-

The pilgrims did in building the discourse of taha abd al-Rahman.

-An empirical study-

مرمي سهام¹، أ.د. زبيدة مونية بن ميسي²¹ مخبر حوار الحضارات والعولة جامعة باتنة 1 (الجزائر)،

Sihem.marmi@univ-batna.dz

² مخبر تكوين المجتمعات وديناميكية المجالات، جامعة باتنة 1 (الجزائر)

Zoubida.benmissi@univ-batna.dz.

تاريخ الاستلام: 2023/11/15 تاريخ القبول: 2024/02/29 تاريخ النشر: 2024/03/03

ملخص:

إن السمة التي يتكوثر بها الخطاب هي صفته الحجاجية، لأن الخطاب في نظر طه عبد الرحمن موقوف على التعامل بين المتخاطبين بغية افتعال التأثير والإقناع في النفوس والعقول.

وهذا ما تصبو إليه الصناعة الحجاجية من الخطاب، وهي صناعة متجانسة وخطابات الطاهائية طبيعيا مقارنة بالأسلوب الطاهائي المنشغل بالآليات اللغوية والمنطقية في بناء الأفهوم.

وعلى هذا الأساس وردت هذه الدراسة، بهدف بيان المقصد من العلاقة بين الحجاج والخطاب، وبالتالي توضيح كيفية إنتاج خطاب من فعالية الحجاج، أي كيف يرتبط الاستدلال بالخطاب، ومن ثم تحديد الشروط التي ينبغي عليها النص الاستدلالي بالخطاب حتى يحقق استمالة عقول المتلقين، والتي ستوضح ضمن القراءة الاستنتاجية لفلسفة الاختلاف.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الخطاب، فلسفة الاختلاف، مبدأ خطابية القول، الإبداع الفلسفي

.Abstract:

The characteristic that the discourse is multiplied by is its argumentative quality, because the discourse in the view of taha abd al-rahman is dependent on the interaction between the interlocutors in order to fabricate influence and persuasion in the souls and persuasion in the souls and minds.

This what the pilgrimage industry is pouring into from the discourse. It is a homogeneous industry and tahai discourses naturally compared to the tahai style That Is preoccupied with linguistic and logical mechanisms in building the concept.

On this basis, this study was presented, with the aim of clarifying the purpose of the relationship between the pilgrims and the discourse, and thus clarifying how to produce a discourse from the effectiveness of the pilgrims, that is, how the inference is related to the discourse, and then determining the condition upon which the inferential text is based on the discourse order to achieve the appeal of the minds the recipients, which will be clarified within the deductive reading for the philosophy of difference.

Keywords: pilgrims, discourse, philosophy of difference, the principle of rhetoric, philosophical creativity.

*المؤلف المرسل: مرمي سهام.

1. مقدمة

شهد النصف الثاني من القرن العشرين عودة البلاغة إلى المطارحات الفلسفية المعاصرة، بعد ارتقاء منحنى الفلسفة التحليلية ومنعطف الفلسفة اللغوية إلى ذروتها بصورة أساسية مع أفكار مؤسسها من جامعة كامبريدج-جورج مور،

فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن

بتراند راسل...-لينعطف الاهتمام المنطقي بعد ذلك قصد الوضع الحجاجي -البلاغة الجديدة- المنشأ لبراديغم حديث عمل وفقه الكثير كمرجعية تقوم على قوة الحجاج ضمن الخطابات الفلسفية المسترسلة باللغة الطبيعية.

ويعد طه عبد الرحمن من الممهدين لبنية النظرية الحجاجية، في الفكر العربي المعاصر والممارسة العلمية للمنطق الطبيعي في ميدان تحليل الخطاب، وإبداع المفهوم المنتج للمقولات النابعة من المجال التداولي العربي، ومن هذه الأنساق الفكرية رسم طه سبل انشغاله بالمسائل اللسانية وطرقه التعبيرية، لأن رسالة المفكر حسبه رسالة لغوية بالدرجة الأولى. التي قادته نحو تعقب تجليات تكوثر الكلام وارتباطه بالحجاج -المنطق الاصناعي- في مجال الخطاب الطبيعي نحو الكشف عن الآليات المنتجة للنص الاستدلالي، إلى نهايته الملحة في الإبداع الفلسفي العربي، و للكشف عن نتائج هذه الدراسة وظف المنهج التحليلي، وعليه: ما طبيعة المقاربة التي أدرجها طه عبد الرحمن، بين الحجاج والخطاب؟ وكيف كانت استراتيجيته المبدعة لبناء خطاب عربي ذو أبعاد حجاجية؟

2. مقارنة حجاجية خطابية

لكل فيلسوف استراتيجيته الخاصة في اراد المفاهيم، وما يؤخذ على طه عبد الرحمن عمق منهجيته اللغوية والمنطقية، و التي انفردت بضبط المفردات وما يناسب وضعها التداولي، فلفظة الحجاج والخطاب نالت إحاطة طاهائية بليغة، كونها سلطة إطار القول ومقام الفعل ضمن العلاقة التخاطبية والعلاقة الاستدلالية، وعلى هذا الأساس: ما المقصود بحدا الحجاج والخطاب؟ وماهي الأقيسة المثبتة لتداخل فعل الحجاج بالخطاب؟ وما ماهية الأصناف المحددة لخاصية الحجاج المنطقي الطبيعي؟

1.2 في معنى الحجاج والخطاب:

أ- الحجاج مفهوم:

ورد الحجاج في مدارج اللغويين ضمن مادة (حجج) والمراد بحج حسب ابن منظور، ويقال حاجته، أحاججه، حجاجا، ومحاجة، حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدلت بها، والحجة هي البرهان. وجمع حجة حجج وحجاج بكسر الحاء، ويقال احتج بشي: اتخذ حجة. (ابن منظور، 1119، ص 778) ومنه يترتب على الحجاج أنه تطابق ومفهوم الحجة، البرهان والغلبة، وقد استخدمت لفظة Argumentation في الدلالات الفرنسية كلفظ دال على معنى الحجاج من فعل Argumenter ويقصد به: جملة حجج هدفها الوصول إلى غاية واحدة أو الاعتراض بها في مناقشة معينة. (le grand robert, 1989, p535) ويتضح من هذا الضبط القصد من الحجاج، إذ يتجلى في تحقيق نتيجة محددة انطلاقا من استعمال الحجج غايتها إبطال قياسات حجائية معارضة.

والحجاج في اصطلاح الفلاسفة والمفكرين، قد اصطبغ بمدلولات متعددة إلا أن فاعليته واحدة، فقد أورده بيرلمان بأنه مجموعة من التقنيات الخطابية الموجهة إلى إقناع المتلقي، سواء كان المتلقي فردا أو مجموعة. (صاولة، 2011، ص 11) بينما طه عبد الرحمن، فقد قرأ الحجاج قراءة مفهومية متعددة الجوانب، فمن حيث الخطاب نجده مطابق للنطق أو الكلام، ويتبين معناه هذا في كتابه اللسان والميزان إذ جاء فيه: "الحجاج كل منطوق موجه إلى الغير، لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها". (عبد الرحمان، 1998، ص 226) ووفق هذا الحد يكون الحجاج عبارة عن خطاب نوعي، قائم على توجيه القول إلى المتلقي بغية إقناعه مع إعطائه حق الاعتراض، إذ لم يتسن له التصديق.

ب-الخطاب مفهوما:

تداول الوضع المعجمي لمفهوم الخطاب انه من مادة (خطب)، ففي معجم الوسيط أتى: خطب الناس، وفهم، وعلمهم: خطابة، وخطابا، كلمه وحادثه، ووجه إليه كلام، ويقال خاطبه في الأمر: حدثه بشأنه. (مجمع اللغة العربي، 2004، ص243) ويقال خطب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح وخطبة بالضم، وذلك الكلام: خطبة أيضا أو هي الكلام المنثور. (الفيروز أبادي، 2008، ص478) ومنه يتبين أن الخطاب ينزل مقام الكلام، وبالتالي يعد وسيلة تبليغية، بينما لفظة الخطاب في السياق الاصطلاحي، وحسب ضبط أبو بكر العزاوي أعطاهما بعد منطقي إذ يقول: "إن الخطاب -بفتح الخاء- بنية منطقية طبيعية تتحكم فيها مجموعة من العلاقات المنطقية (علاقة الشرط والسببية، والاستلزام، والاستنتاج والتعارض). (العزاوي، 2010، صص18-19) بمعنى أن أبو بكر العزاوي اعتبر الخطاب بنية قائمة على اقيسة كلامية، خاضعة لجملة شروط منطقية لا يمكن الحد عنها.

والخطاب حسب طه عبد الرحمن عبارة عن علاقة استدلالية، ما نصه: "إن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية وليس العلاقة التخاطبية وحدها: فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب بكسر الطاء من غير أن تكون له وظيفة المدعي ولا مخاطب بفتح الطاء من غير أن تكون له وظيفة المعارض". (عبد الرحمن، 1998، ص226) وبمقتضى التواصل فالخطاب حسب طه عبد الرحمن عبارة عن كلام موجه إلى الغير من اجل افتعال الفهم حول قضية ما، وهذا يعني إذا كان الكلام ملفوظا فهو تابع للتخاطب. (عبد الرحمن، 1998، ص215) ووفق هذا المنظور ضبط طه عبد الرحمن الخطاب من وجهتين: أولها حدد وفقها أن الخطاب ذو طبيعة استدلالية حجاجية كلامية تواصلية، والثانية حدد وفقها وظيفة المخاطب وتتمثل في الادعاء، بينما وظيفة المخاطب تمثلت في الاعتراض.

من منطلق التحليلات السابقة يمكن القول أنه لا يمكن تحديد معنى الحجاج بمعزل عن الخطاب، وبهذا يكون الحجاج عبارة عن جملة حجج موضعها الخطاب، تهدف إلى إثبات أو بطلان قضية معينة.

2.2 المقولات المثبتة لاقتراح فعل الحجاج بالخطاب:

بعد الوضع التأسيسي للحجاج والخطاب، عرض طه عبد الرحمن جملة براهين يوضح وفقها أحقية تداخل الخطاب بالحجاج، انطلاقاً من مبدأ لا خطاب بغير حجاج، يفهم أن فعل الحجاج عبارة عن كلام تسترسل به مضامين الخطاب. ففعل الحجاج يشكل كلام الواقع المؤثر في المتلقي، والمعروف أن الفعل الكلامي ذو وظيفة حجاجية اقناعية. (نحلة، 2002، ص46) وهذا ما يتفق مع قول بيرلمان أن الحجاج يمكن التلفظ به على القضايا العلمية، وغايتها البحث في تقنيات الخطاب، التي تقود الأذهان إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات. (صاولة، 2011، ص11). وذلك مفاده أن المعالجة الحجاجية للخطاب تعد بحث في وظيفة الكلام و تقنية كلامية يقوم عليها الخطاب، ومتى كان فعل الكلام مقترن بصفة "قصد التوجه إلى الغير" فهو حتماً يقتضي التواصل، والمراد بهذه الدلالة أن الخطاب يمثل إلى إقامة علاقة تخاطبية بين المدعي والمعتز، وهنا المدعي مطالب بالدليل على كلامه، والمعتز للناطق يطالبه بإقامة الدليل على ما يعتقده. (عبد الرحمان، 1998، ص225-226) واعلم انه إذا تيقن هذين الغرضين في الخطاب فقد تحقق ما يسمى بالحجاج، لأن الحجاج من هذا المنعطف وكما أشار طه إلى ذلك "هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها". (عبد الرحمان، 1998، ص226)

وعلاوة على ذلك أثبت طه عبد الرحمن بأن الحجاج هو الأصل في الخطاب، ومنه يكون الاستدلال فيه أصيل. وهنا أكد طه عبد الرحمن أن لفظة الكلام والخطاب والحجاج، مسمى أسماء مخالفة لمسمى واحد أطلق عليه اسم "الحقيقة

فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن

النطقية الاستدلالية. (عبد الرحمن، 1998، ص 235) بناء على ما تقدم، وما ينبغي الوقوف عليه هنا أن الحجاج بنية استدلالية يبني عليها الخطاب وهذا ما أثبتته Ruby Lionel بقوله: «الحجة خطاب يحتوي على الاستدلال». (Ruby, 1972, p91) ولا تصاغ حججه، إلا داخل نسق لغوي فكري يترجم بها المخاطب أقواله الكلامية المستند إلى أدلة يدعم بها اعتقاداته.

3.2 منطق الخطاب الحجاجي بين صفة الالتباس وبنية القياس

إن منطق المحاجة عموما يحث الخطابات الحجاجية، على إقرار صفات تجعله منفردا عن غيره، وقد أكد طه عبد الرحمن على خاصية الالتباس، وبناء الأقوال الكلامية على بنية القياس، وهذا ما يدفع بالملفوظات، إلى اكتساب قوة التدليل وبلاغة التأويل، فماهية الحجاج حسب طه عبد الرحمن، تكمن في كونه ينطوي على قدر من الالتباس في الوظيفة، بمقتضى انه لولا وجود الالتباس بالحجاج لما تميز على الخاصية البرهانية، فهو الفاصل بينهما. (عبد الرحمن، 1998، ص 230) وهذا يدل على أن الفاصل في الالتباس الحجاجي، هو أن الحجاج يجتمع فيه اعتبارين إثنيين هما: اعتبار الواقع واعتبار القيمة، وأي أن الحجاج ينبني على إدراك معاني الأشياء بغية الكشف عن حقائقها والعمل بها. (عبد الرحمن، 1998، ص 231) وبهذا يكون المستدل الحجاجي قادر على بناء معرفة كافية بواقعه، تدفعه إلى ترك ما يجهله، (عبد الرحمن، 1998، ص 231)، حتى يبلغ التطبيق الحق للمعارف.

وكون الحجاج وسيلة تبليغية، فهو حتما يتعرض لبنية القياس، وهذا راجع إلى ان القياس يتخذ معنى فعالية استدلالية خطابية، وفق نص طه عبد الرحمن يقوم على مسلمة أساسية تتمثل في مسلمة التباسية الخطاب الطبيعي، وهنا يتضح أن القياس يضارع صفة الالتباس من وجهة نظر هذه المسلمة، والتي تعني أنها خاصية تستجيب لأغراض التبليغ، أي أنها عبارة عن جملة ألفاظ مركبة تحتل عدة

تأويلات متباينة سواء يطلق الدال الواحد على مسميات مختلفة، ويدل به على معاني متعددة. (عبد الرحمان، 2000، ص 99)، إذ يقول طه عبد الرحمن: «إذا سلمنا أن القياس يستجيب لمعيار الالتباس الضروري للغة الطبيعية، ومعيار الترتيب المميز للصفات، وأنه يعطي كل قول أساسه الاستدلالي، فإننا ندرك أن تجتمع فيه الشروط الكفيلة بأن تجعله أنسب آلية تشتق بها الأقوال بعضها من بعض". (عبد الرحمان، 2000، ص 15) وهذا يدل على أن طه عبد الرحمن، جعل من القياس آلية استدلالية تتضمن صفة الالتباس، كونها ثنائية ضرورية داخل الخطابات المسترسلة باللغة الطبيعية، وهذا يجعل من القياس ركن مساعد على تطبيق عملية اشتقاق قول من قول آخر.

فضلا على ذلك يتبين، أن الخطابات الحجاجية تتميز بصفة الالتباس مفادها أن تضفي سمة الغموض، و فعل الإثارة في المتلقي، وبخاصية القياس والتي بدورها تفتح مجال التأويلات أمام المتلقي.

3. شروط بناء النص الاستدلالي

إن الخطاب الحجاجي، لا يصاغ ضمن سياقات أو مجالات معزولة عن العلاقات المنطقية التي تقر بها أحكام النصوص الاستدلالية، ليكون بذلك بنية حجاجية لها القدرة على التبرير ونقل التأثير في الجمهور. وحتى تحقق الحجج غايتها التبريرية لابد من إجراء تقييم عقلائي لها وهذا ما أشار إليه تولمين في قول له: "إن الحجج لا يجب أن يكون لها شكل معين فحسب، بل يجب أن يتم عرضها وتقديمها في سلسلة من الخطوات التي تتوافق مع قواعد إجرائية أساسية معينة. باختصار التقييم العقلاني"، (Toulmin, 2003, p40) لأن التقييم العقلاني حسبه ينطوي على شكلية بالضرورة يجب مراعاتها إذا ما تم إجراء أي تقييم للحجج. (Toulmin, 2003, p40) وبالتالي الاستدلالات الحجاجية عبارة عن متتالية قولية، ليس غرضها بلوغ أو تحقيق نتيجة وإنما الغرض الجوهرى منها تبرير قرارات.

فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن

ومن منطلق هذا السياق يتجلى التقاطع بين الحجاج والاستدلال، من حيث آلية التدليل لأن الاستدلال مفهوما يعني تقرير الدليل لإثبات المدلول. (الجرجاني، ص 17) وهذا ما يهدف إليه الحجاج، وحتى يكون النص استدلاليا لابد أن يلتزم بجملة شروط، وقد عدها طه عبد الرحمن وفق ثلاث شروط وهي كالتالي (عبد الرحمن، 2000، ص 35-36):

1.3 النصية

يرى طه عبد الرحمن أن شرط النصية مفاده أن النص، هو بناء يتركب من جملة صحيحة مترابطة فيما بينها بجملة من العلاقات، وقد ضبط لها صيغة منطقية معبرة عنها على النحو التالي:

النص عبارة عن زوج: (جو، عو) وقد أشار طه إلى أن "جو" عبارة متوالية متناهية من الجمل السليمة ج1،، ج ن. وعو" تعني متوالية متناهية من العلاقات ر1 رن، بحيث يكون مجال تعريف كل "ر" هو مجموعة جمل "ج" التي تتألف منها المتوالية جو، وحسبه هذه العلاقات المنطقية، قد تربط بين الجمل ربطا مثنويا إذا كان عدد الجمل اثنان، وربطاً جمعياً إذا كان عدد الجمل أكثر من اثنين، وقد تربط الجمل ربطا مباشرا إذا كان الربط قريب، أو ربطا تتوسطه علاقات أخرى تصل بين جمل أخرى إذا كان الربط بعيداً، بمعنى أن النص لا يكون استدلالياً، إلا إذا كان عبارة عن متوالية أقوال سليمة خاضع للشروط النصية، التي تربط الجمل فيما بينها بواسطة علاقة الربط المثنوي والجمعي، أو ربطاً قريباً أو بعيداً.

2.3 الاقترانية

بناء على شرط الاقترانية تكون عناصر النص مترابطة فيما بينها، وبالصيغة المنطقية النص الاقتراني، هو الزوج يكون (جو، عو) متحققا فيه الشرط التالي: يقتزن كل زوج (ج، ع) (ج و) من جمل المتوالية جو بعلاقة قريبة أو بعيدة، سواء كانت

مثنوية أو جمعية، وهذا يعني أن النص الاستدلالي هنا، ووفق شرط الاقتراطية يكون مترابطا وخاضع للعلاقة القريبة والبعيدة، مثنوي أو جمعي.

2.3 الاستدلالية

مفادها أن النص الاستدلالي تكون عناصره مقترنة بعلاقات استدلالية وحد العلاقة الاستدلالية كما أشار إليه طه عبد الرحمن بنية تربط بين الصور المنطقية لعدد معين من جمل النص: أي بنية نونية مرتبة، وبالعبارة المنطقية (صن 1، صن- 1 صن ن) بحيث يشكل كل صنء (1 أكبر أو يساوي أكبر أو يساوي ن) صورة منطقية لأحد الجمل، وتدعى المتوالية الجزئية صن 1. صن ن- 1 بمقدم هذه العلاقة وصن ن بتالهما. وإقرارا على هذا الضبط وحسب التحليلات الطاهائية، فإن النص الاستدلالي يتباين بتباين هذه الصور بذكرها أو حذفها وباختلاف قيمتها المنطقية، نظرا إلى أن النص الاستدلالي يمكن أن يكون من عدة أصناف (عبد الرحمان، 2000، ص 36) : من الصنف التدريجي إذا سبقت المقدمة النتيجة، و من الصنف التقهيري إذا سبقت النتيجة المقدمة، من الصنف الإظهاري إذا تم ذكر جميع الصور المنطقية فيه، و من الصنف الإضماري إذا تم إخفاء بعض الصور المنطقية، ثم تم ذكرها حاجة لإتمام البنية الاستدلالية. وقد جاء في كتاب روبير بلانشي أن الاستدلال يبقى مضمرا عندما تكون العلاقة بين القضايا واضحة بالقدر الكافي، إلا أن مناسبة الأسباب المبررة إنما تقاس بقدرتها على إظهاره. (بلانشي، 2003، ص 14) وهذا ما يدل على أن كلما اتضحت صور العلاقات المنطقية، أدت إلى إضمار الاستدلال وأنه كلما زاد عامل التبرير بلغت تلك العلاقات مرحلة البروز، و من الصنف البرهاني إذا كانت علاقاته المنطقية قابلة للحساب الآلي، و من الصنف الحجاجي إذا كانت هاته العلاقات المنطقية تأبى الخضوع لمثل هذا الحساب الصوري.

فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن

ومنه يستنتج أن العلاقات المنطقية تعتبر الوضع المتحكم في بنية النص الاستدلالي، وأن أصناف النصوص الاستدلالية هي التي تحدد وضعية المقدمات والنتائج، وتواجد الصور المنطقية من عدمها.

وان الاستدلال من وجهة الحجاجية ليس استدلالا استلزاميا يؤول إلى نتائج نهائية وثابتة إنما هو استدلال تحولي يتجلى فيه انتقالات وتغيرات، بحيث يرجع إلى المقدمات ليجعل منها نتائج. (عمارة، 2009، ص133) وإن المنهج الاستدلالي (الحجاج) كما أشار إليه طه عبد الرحمن يستند فيه المحاور على الصور الاستدلالية، عبرها يفهم المتلقي أمور غير تلك التي تلفظ بها، وكأنه يذكر دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد التدليل به، وأن يستدل على قضايا بديهية هي في الأساس في غنى عن ذلك، وهذا مرده أن المستدل أو المحاجج يأخذ بمقتضيات المعارف والمعتقدات وأخبار وأغراض علمية. (عبد الرحمان، 2000، ص 46) فتضمين الألفاظ حسب ديكره يوفرها مكون بلاغي يراعي ظروف النطق، لا مكون لغوي الذي يتناول اللفظ دون النظر إلى شروط حدوثه. (Ducrot, 1984, p 21) وهنا يكون الخطاب متعدد الفهم فكل متلقي يستوعبه بحسب فكاه لشفراته الحجاجية والاستدلالية. لأن البلاغة تصهر المفاهيم ضمن سياق مجازي، الأمر الذي يجعلها تنزل منزلة الحجاج لما يترتب عنها من إحكام جديدة لذلك يقول ميشيل مايير: "البلاغة حجاج مكثف". (مايير، 2021، ص70) ما يؤدي بالمتلقي إلى التعدي إلى تفسير باطن الأقوال الخطابية لا تفسير ظاهرها فقط، وإذا اتصف الاستدلال بهذه الصفات، ما هو إلا احتجاج تتحكم فيه مقامات التركيب، ويرجح فيه العمل على الجانب النظري. (مايير، 2021، ص 70)

4. مظاهر الاستدلال الحجاجي في الخطاب الطاهائي -فلسفة الاختلاف أنموذجا

لقد فتح طه عبد الرحمن رؤى فلسفية مستقبلية يستشرف عبرها الإنسان العربي، وتغيير ما هو كائن عليه بإنتاجاته الفلسفية المعاصرة، وهذا ما استقام عليه

طه عبد الرحمن فقد عرف بأسلوبه المحاجج والمبرهن على القضايا المحققة للإبداع العربي، من خلال معالجته لمختلف المشكلات التي تعترض المجال العربي، ومن ثمة تحقيق الاختلاف والإبداع المغاير على ما قدمته الحضارات الغربية. فكيف إذن اتخذ طه عبد الرحمن من السبل الحجاجية، وسيلة برهانية يدعم بها نصوصه؟

عند القراءة الاستنتاجية لجزئيات من الخطاب الطاهاني الخاص بالحق العربي في الاختلاف الفلسفي، تم الوصول لآليات حجاجية تبناها طه عبد الرحمن أثناء إثباته لحرية التفكير، وأثناء وضعه لخطط الخطابية لقيام فضاء فلسفي عربي. وقد تم تصنيفها على النحو التالي:

1.4 خاصية الحجاج التداولي وصفة الاعتراض

ومقتضى هذه الخاصية أن الحجاج في بعده التداولي يتجسد في اهتماماته الخاصة بالمفاهيم و القول المعبر عنها بضابط اللغة، والجدير بالذكر هنا أن طه عبد الرحمن امتثل لهذا الجانب، إذ نجده في خطابه المقررة لضرورة الاختلاف الفلسفي، يسير على نهج لغوي نابع من المجال التداولي العربي مع مراعاته لتسلسل ولترتيب للأقوال الكلامية، إذ عالج مشكلة الإبداع الفلسفي انطلاقاً من ضبطه للألفاظ المتداولة في اللسان العربي، التي اتخذ منها طريقاً للمحاجة، وتجلت تلك الكلمات في لفظة القيام، والتي تعني النهوض ولفظة القوام، والتي تعني مجموعة قيم ينبغي على المجتمع الامتثال لها، ولفظة القومة ومعناه حسب طه هي العمل الاجتهادي الذي حقق فعل النهوض للقوم. (عبد الرحمان، 2000، ص 46) ثم توجه طه عبد الرحمن في لغته الحجاجية وجهة نقدية، والتي اقر من خلالها ضرورة عرض كل المفاهيم من الفضاء الفلسفي العالمي إلى النقد، باعتباره دليل القوة في الفلسفة إذ يقول ما نصه: "إن الانتقاد في الفلسفة دليل قوة والاعتقاد فيها دليل ضعف". (عبد الرحمان، 2008، ص ص 71-72) فمن غير الممكن أن تفتعل المجتمعات فعل النهوض الفلسفي الذاتي والمختلف عن الآخر من غير آلية النقد،

فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن

وأن تتجاوز نظرية التسليم والتقليد التي تدفع المجتمع العربي نحو التبعية واللاحركية، وهذا ما تعارضه وبشدة خطابية قيام الفضاء العربي.

والغرض من ذلك أي من نقد المفاهيم، هو الكشف عن مدى نفع المفاهيم المنقولة للأمة العربية. وقد اختار طه عبد الرحمن مفهوم نهاية التاريخ وطبق عليه خاصية الاعتراض (عبد الرحمان، 2008، ص ص 72-74) نتيجة الأضرار التي تنجر عنه في بيئة غير بيئته، ولهذا أكد على ضرورة تخطي هذا المفهوم نحو مفاهيم أخرى مجاورة له من مثل وحدة اتجاه حركة التاريخ، ومراد ذلك تأصيلها حسب ما يتطلبه المجال التداولي العربي من قيم. (عبد الرحمان، 2008، ص 74) ومقتضى ذلك أن تكون المفاهيم المتوصل إليها خاضعة للقيم الأخلاقية، التي ينص عليها المجتمع العربي ويتوافق معها، وهذا ما يؤدي إلى إيقاظ الإنسان العربي وتحرر طاقاته ليتعد طه بعد ذلك إلى مرحلة الأسطورة، والتي وضح من خلالها كيفية التخلص من الأساطير الإغريقية، باعتبارها عائق في وجه الإبداع ينبغي التصدي له، (عبد الرحمان، 2008، ص 109) لأن نشوء فلسفة عربية مبدعة، يتطلب فعل التجاوز لكل إنتاج غربي، والارتقاء نحو إبداع مفاهيم جديدة. لذلك يرى طه عبد الرحمن حتى نعالج مسألة الإبداع لابد أن تدخل الفلسفة في التداول اليومي، والإبداع يكون على مستوى القول الفلسفي ولهذا يوجه طه عبد الرحمن القارئ إلى التساؤل عن كيفية الابتكار في القول الفلسفي وعن كيفية الاختراع فيه وعن كيفية النشأة فيه، بمعنى أن نبذل مفاهيم ونتجاوز تقديس المفاهيم المنقولة لنا من اللسان الإغريقي وغيره. (عبد الرحمان، 2008، ص ص 108-116) عن طريق ابتكار خطابات فلسفية عربية تكون في مستوى خطابات الفلسفة الغربية أو حتى تفوقها، ثم تدرج طه إلى كيفية تقويم اعوجاج الفلسفة العربية، وقد اتخذ من بلده المغرب أنموذجا يكشف من خلاله اليقظة التي وصل إليها، والتي اعتبرها غير كافية حتى تخرج من إتباع الموروث، ويكون ذلك حسبه بإنتاج ترجمات جديدة، وكل ذلك يؤصل الهوية

العربية المرتبطة بمراتب الأخلاق. (عبد الرحمان، 2008، ص ص 167-189) لأن الترجمات القديمة و المتداولة تقيد التجديد باعتبارها مرتبطة بكل موروث. إقرارا على خاصية الحجاج التداولي وصفة الاعتراض يتضح ورودهما ضمن: ضبط القول ومجرى استعمالاته، و في آلية الاعتراض و هي صفة جوهرية في الحجاج، كونها تستند على الاستدلال والبرهنة المنطقية، و في ترتيب الأفكار وعرضها من العام إلى الخاص ..

2.4 خاصية الاستدلال المركب

ويقصد به أن ينتهج الخطاب في جملة على الأسلوب الشرطي سواء كان مصرحا به من خلال توظيف مركب الجمل الشرطية – جملة الشرط، أداة الشرط وجواب الشرط – أو غير مصرح به، بمعنى أن يستعمل المستدل أداة الحصر إنما أو الاستثناء مع النفي. (عبد الرحمان، 1998، ص 393)

وهذا ما أورده طه عبد الرحمن في خطابه المتعلق بالإبداع العربي، ويمكن إظهاره بما تجلى في أقيسته الكلامية من مثل:

"إن مقوم العمل من هذه المقومات يفتحها على الغير، لأنه يقتضي الدخول في علاقات، والانطواء لا يكون إلا في أمر قاصر غير متعد". (عبد الرحمان، 2008، ص 202) وهنا استخدم طه أداة الشرط "إن" ويقصد بكلامه هنا عن العمل هنا على الأمة العربية ان تضع للعمل النافع الذي يحقق لها الاستقلال الثقافي والإبداع العربي.

"متى تيقنا بان القول الفلسفي ليس مقدسا في نصه، فنتصرف فيه بحسب المتلقي منا". (عبد الرحمان ، 2008 ، ص 134) وهنا تم توظيف حرف الشرط "متى" وغاية الكلام انه كلما نزع صفة التقديس عن الخطاب الوارد للمتلقي تعدد المعنى، وتحقيق الإنتاج الفلسفي.

فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن

"إنما يجعل من هذه النسبة عقيدة متفوقة، ومن مقوماتها أصولاً مقدسة". (عبد الرحمان، 2008، ص 134) استعمل طه في هذا النص الأسلوب الشرطي المقترن بأداة الحصر "إنما" والغرض من ذلك الاستدلال بتبين أن لكل قوم أصول وعقيدة خاصة تناسب انشاءاته الفكرية.

انطلاقاً من آلية الاستدلال المركب يلاحظ أن الخطاب الطاهاني يتوسطه الكثير من الجمل الشرطية الصريحة، ومثاله النص الأول والثاني والجمل الشرطية الضمنية، ومثاله النص الثالث. إذن استخدم طه عبد الرحمن هذا النوع من الاستدلال، لإثبات المقدم باللاحق أي جملة الشرط بجوابها.

3.4 الروابط الحجاجية

إن الناظر في الروابط الحجاجية تتضح له من الوهلة الأولى أن وظيفتها تكمن في عملية اتساق وانسجام الأقوال المتوالية داخل الخطاب، بغية أن يتجلى التركيب اللغوي المحدد لمعنى قوي، لأن الحجاج في بعده اللغوي، وكما أشار إليه أبو بكر العزاوي عبارة عن متوالية قولية البعض منها حجج لغوية، والبعض الآخر بمثابة نتائج تستنتج منها تلك الحجج. (العزاوي، 2005، ص 16) وقد حدد العزاوي معنى الرابط بقول له: "الروابط تربط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر، وتسد لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية العامة". (العزاوي، 2005، ص 27) وبهذا المعنى فمن غير المعقول ورود خطاب ذو أبعاد حجاجية خالي من الروابط الحجاجية، فهي جزء لا يتجزأ منه، ولكل رابط وظيفة خاصة به، وقد وفدت هذه الروابط بتنوعها ضمن الخطاب الطاهاني المسترسل بالأسلوب التبريري، ومثال ذلك ما جاءت به هذه المستندات:

"والشرط الثاني أن يأتي هذا التغلغل على وجه ليس فيه نقل أو تقليد". (عبد الرحمان، 2008، ص 109) وهنا تم توظيف روابط العطف من بينها حرف "و" الذي يفيد الترتيب وغرضه الوصل وحرف "أو" والذي يفيد التخيير وغرضه توسيع

الاختيارات، وكان طه عبد الرحمن هنا يبين خصوصية الاختلاف الفكري، الذي يكون تحت قانون الملغي لأي ترجمة حرفية أو تبعية محضة.

" هذا الاستشكال والاستدلال، لا يتسع لهما النقل العربي المباشر لهذا القول الأصلي، بل لا بد لهما من قول مستقل يعالجهما على تمهل وتوسع". (عبد الرحمان، 2008، ص 121) وقد استعمل طه هنا الرابط "بل" الذي يفيد الإضراب، ويعمل على تقوية الحجة التي تأتي بعد الحرف "بل" فتكون أقوى من سابقتها أي أقوى من الحجة المتواجدة في الجملة قبل الحرف "بل"، وهذا ما أكدّه العزاوي. (العزاوي، 2005، ص ص 43- 64) والمقصود من السياق الطاهائي لا بد أن يكون القول الفلسفي المنتج، يتناسب و المجال العربي و يكون يعالج القضايا النابعة منه.

"إذن المانع الذي ينبغي صرفه لحصول الابتكار إنما هو التقديس". (عبد الرحمان، 2008، ص 117) تعد إذن من الروابط الحجاجية التي تستعمل في عرض النتائج فتكون نتائجها أقوى من حيث الإقناع من النتائج الخالية من الروابط الحجاجية الخاصة بإدراج النتائج. وقد صرح طه عبد الرحمن بعد مقدمته التي تحدث فيها عن إشكالية كيف نحدث ابتكار في القول الفلسفي، لينتهي بنتيجة مفادها أن المجتمع العربي، لا يرتقي نحو ابتكار القول الفلسفي العربي، إلا بعزل صفة التقديس من كل الانتاجات الفكرية.

" انه ينبغي التصدي لهذه العوائق، حتى يتفتح الطريق للمتفلسف العربي". (عبد الرحمان ، 2008، ص 109) أما فيما يخص الرابط الحجاجي "حتى" يرى العزاوي أن هذا النوع من الروابط ينتهي إلى فئة حجاجية واحدة " classe argumentative": أي أنها متعلقة بخدمة نتيجة حجاجية واحدة. (عبد الرحمان، 2005، ص ص 43- 64) و الحجج الآتية وفق هذا الرابط تعتبر من أقوى الحجج وتقع في أعلى السلم الحجاجي، وغاية حتى في هذا النص تبرير خطورة الأساطير التي عدها طه عائق أمام التفلسف العربي.

فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن

"من وراء ترسخ التقليد للمنقول الفلسفي، لكنها تبقى مجرد أثار لسبب موضوعي تعلقته به الفلسفة المغربية تعلقا ملحا ومستمرًا، ألا وهو الترجمة". (عبد الرحمان، 2008، ص 142) الرابط " لكن " في هذا الموضوع يفيد الإستدراك، وهو من أدوات الترابط الحجاجي فهي توجه المتلقي وجهة حجاجية جديدة تخالف سابقتها (الناجح، 2011، ص 19) وتكمن وظيفتها أو عملها بفرض علاقة التعارض بين معنيين لمحتوى الدلالي للجملتين التي تربطهما، أي أنه يوحى بتعارض سياق الجملة الأولى، مع النتيجة التي تأتي في سياق الجملة الثانية، لكنها في الحقيقة تزيد الجانب اللغوي حجة. (Grand Champ, 1996, p27) وقد وظفها طه من أجل الاستدلال على واقع الفلسفة المغربية ومستقبلها إذا ما بقيت حبيسة الترجمة الغير المبدعة.

بناء على ما تقدم، يمكن القول أن الروابط الحجاجية لها علاقة وطيدة بالبنية الداخلية للخطاب، تعمل على تصعيد قوة الحجج، وهي كثيرة منها ما يتعلق بالترتيب، التعارض، و المرتبة للنتائج.

4.4 الاستشهاد والوقائع

في إطار الاستدلال الحجاجي يمكن تفسير استشهاد طه عبد الرحمن بتوظيف الآيات القرآنية، ومتون الأمثلة المقتبسة من الإنتاجات الفلسفية، وورود الأحداث التاريخية وغيرها كحجج لدعم نتائجه المراد بلوغها، ويتبين ذلك من خلال استدلاله على طبيعة العلاقة الوصلية، بين لفظ القومية وكلمة اللغة وقد استند طه على الأحداث التي وقعت للأنبياء مع أقوامهم، وبين من خلالها أن الأنبياء عند تبليغهم للدين الإلهي خاطبهم باللغة التي يتواصلون بها، و التي اختصوا بها ولم يخاطبهم باللغة لا يتفقون عليها ولا يتكلمونها، (عبد الرحمان، 2008، ص 196) ولتأكيد ذلك وظف طه عبد الرحمن جملة من الآيات القرآنية، التي أنزلها منزلة الحجة نذكر منها ما ورد في الآية 4 من سورة إبراهيم: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا

بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" وفي الآية 58 من سورة الدخان إذ يقول تعالى : " فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ". (عبد الرحمان، 2008، ص 196) وقد هدف طه عبد الرحمن من هذه الاستدلالات، تبين مدى أهمية اللغة في الإنتاج و إبداع المفاهيم من عدمها، وكذلك يمكن تفسير الأمثلة التي أوردها طه عن الترجمة الحقة التي تنزه المجتمع العربي من صفة الجمود على أنها استدلالا حجاجيا ،وقد تمثل ذلك فيما استقاه طه من كتاب محمد عزيز الحبابي "De l'être à la personne"، حيث وضع من مضمونه مدى وقوع الحبابي في الترجمة المقلدة لا المبدعة، و اتضح ذلك في استعماله للتعبير الغير الواضحة، و الألفاظ المركبة. (عبد الرحمان، 2008، ص 154-155)

و لهذا يجب استعمال المصطلح العربي بدل المعرب، حتى لا نقع في هول المعاني الفلسفية، وهذا ينجر عن استعمال المصطلح الغربي مكان المصطلح المؤلف في اللسان العربي (عبد الرحمان، 2008، ص ص 158-160)، وإذا ما تم العكس أضحى المتلقي رهينة التبعية المطلقة، ومن ثم تنتزع قدرته المحدثثة للتفلسف. (عبد الرحمان، 2008، ص 161) وفي هذا السياق يقول طه عبد الرحمن: " المقصود من الفلسفة ليس حفظ ما قاله الغير على مقتضاه، بل تحصيل القدرة على تجديد التفلسف فيه على مقتضى المتلقي ادعاء واعتراضا". (عبد الرحمان، 2008، ص 163) لأن المتلقي إذا ما تعرضت انتاجاته لآلية النقد، وفعل التجاوز لكل ما هو مقلد وأخضعه لصفة الادعاء بلغ هدفه المنشود، ألا وهو إبداع القول الفلسفي والتنزه عن التقليد والتبعية مهما كانت دائرته.

وجامع القول لما تقدم يمكن إدراج الاستشهاد والوقائع وحتى الأمثلة ضمن الآليات الحجاجية التي يستعين بها المستدل بغرض الاقناع، و وفق ذلك يستنتج أن طبيعة الاستدلال الذي مارسه طه لا يختلف عن غيره، إلا أنه ما يستوقف القارئ

فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن

أن لطفه مظهر حجاجي ينتسب إليه، وهو الحجاج التداولي ومقتضى ذلك أنه تفرد في إبداع المفهوم.

5. خاتمة

من منطلق التحليلات السابقة المتعلقة بدراسة موضوع فعل الحجاج في بناء الخطاب عند طه عبد الرحمن، تم الوصول إلى أن القراءة الحجاجية الخطابية أفضت إلى إيضاح العلاقة الوصلية بين الحجاج والخطاب، والتي تمثلت في العلاقة الاستدلالية الخاضعة لشروط النص الاستدلالي، وقد تولد عن هذين الحدين مركب الخطاب الحجاجي، الذي تميز بصفة الالتباس وبنية القياس، وبمقتضى المعالجة الحجاجية لخطاب فلسفة الاختلاف الذي تناوله طه عبد الرحمن بشيء من الاستفاضة والدقة اللغوية والمنطقية، أفضى إلى تأسيس خطاب إقناعي يحث على ضرورة قيام فضاء فلسفي عربي مبدع توضحت معالمه فيما وظفه من وسائل وآليات حجاجية.

إذن الإنتاج الموصوف بطابع الحجاج يسعى إلى نقل مستخدميه من مرحلة قراءة وفهم الخطاب إلى مرحلة المحايثة الاجتماعية، أي الاقتراب من حقيقة الوجود العربي، ومعالجة إشكالياته مع طرح البديل المفتعل لاستقلال فكري عربي.

6. قائمة المراجع:

- ابن منظور، (1119). *لسان العرب*. تح: عبد الله علي الكبير، و آخرون. القاهرة: دار المعارف.
- الجرجاني، علي بن محمد. *معجم التعريفات*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- صاولة، عبد الله. (2011). *في نظرية الحجاج، -دراسات وتطبيقات-*. ط1. تونس: مسيكلياني للنشر والتوزيع.
- عبد الرحمن، طه. (1998). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*. ط1. دار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحمن، طه. (2000). *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*. ط2. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحمن، طه. (2008). *الحق العربي في الاختلاف الفلسفي*. ط2. المغرب: مركز الثقافي العربي.
- العزاوي، أبو بكر. (2005). *اللغة والحجاج*. ط1. الرباط: العمدية في الطبع.
- العزاوي، أبو بكر. (2010). *الخطاب والحجاج*. ط1. بيروت. لبنان: مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر.
- عمارة، ناصر، (2009)، *الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي*. ط1. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2008). *قاموس المحيط*. مر: ابن محمد الشامسي زكريا. جابر محمد. القاهرة: دار الحديث.
- مايير، ميشيل. (2021)، *البلاغة*. ترجمة: محمد اسيداه، مراجعة، محمد الولي، ط1. بيروت. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مجمع اللغة العربي. (2004). ط4. *معجم الوسيط*. مكتبة الشروق الدولية.
- الناجح، عز الدين. (2011). *العوامل الحجاجية في اللغة العربية*. ط1. دب: مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع.
- نحلة، محمد أحمد. (2002). *أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

- le grand robert. (1989). *dictionnaire de langue français*.1^{er} Ed. Paris.
- Grand Champ Michel, Jean . (1996). *L'argumentation dans le traitement automatique de la langue*. (thèse de doctorat. Université Paris XI. Orsay.
- Ruby, Lionel. (1972) . *La pensée Logique*، Trad Aimee . daruma j.B Lippincott company. Philadelphia. New York.
- Toulmin, E. Stephen. (2003). *the uses of Argument, Library of congress cataloging in publication Data*, Updated Edition, America.